بطلان
ما ذكره ابن الزرقالي
عن مولد النبي صلى الله عليه وسلم

د. رشيد السعيدي

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأوّل من ينشق عنه القبر، وأوّل شافع وأوّل مشفع)[2] وقال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله تبارك وتعالى خَلَق السمواتِ فاختار العُليا فأسكنها مَن شاء مِن خَلْقه، ثم خَلَق الخَلْق فاختار مِن الخلْق بني آدم، واختار مِن بني آدم العَرَبَ، واختار مِن العرب مُضرَ، واختار مِن مُضر قريشًا، واختار مِن قريش بني هاشم، فأنا مِن بني هاشم مِن خيارٍ إلى خيارٍ...)[3] الحديث فهذه النصوص وغيرها كثير تدلّ بشكل واضح على خيرية الرسول صلى الله عليه وسلم فنبي بهذا الفضل وهذه الرفعة حق لأتباعه أن يحتفوا بميلاده صلى الله عليه وسلم ففي السنة الشريفة أنه كان يصوم يوم الإثنين فلما سُئل عن ذلك قال: (ذاك يوم ولدت فيه وفيه أنزل عليّ)[4] .

فالاحتفال بمولد خير البرية صلى الله عليه وسلم على هذا النحو لا خلاف عليه لكني الآن بصدد ما نُسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه اليوم من كون نقطتا رأس الحمل والاعتدال واحدة وكان الفلك يومئذ على أعدل وضع وأحسنه ودُوّن هذا في كتب بعض علماء الفلك المغاربة

روى البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم لما توفي ابنه إبراهيم كسفت الشمس فربط بعض الصحابة رضوان الله عليهم هذه الظاهرة بحالة الوفاة ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قطع هذا الربط الجاهلي فقال : (الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموهما فصلوا)[5] وفي حديث آخر (بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من أصحابه إذ رمي بنجم فقال: ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية؟ فقالوا : كنا نقول يموت عظيم ، أو يولد عظيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **إنها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته،** لكن ربنا سبحانه وتعالى إذا قضى أمرا في السماء سبح حملة

---

[1] آل عمران 33
[2] رواه مسلم
[3] رواه الحاكم في المستدرك
[4] رواه مسلم
[5] متفق عليه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العرش ثم سبح أهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء ...)[6] الحديث فهذه الأحاديث وغيرها مما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم كاف لرفع اللبس في هذه المسألة فالشمس والقمر آيتان من آيات الله قدّر الله لهما منازل لعدّ السنين وضبط الوقت قال تعالى:

(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصّل الآيات لقوم يعلمون)[7] فالمنازل التي تمر بها الشمس ويمر بها القمر إنما هي من وضع الله جعلها لغايات منها معرفة التوقيت لأداء بعض العبادات المؤقتة فإذا قدّر الله تعالى ولادة أحد أو وفاته والشمس والقمر في منازلهما فإن ذلك لا يوجب شيئا لانتفاء الموجب ولأن حركة الشمس والقمر وانتقال كل في منازله كائنة منذ أن خلقها الله وحتى يرث الله الأرض والشمس والقمر فتخصيص هذه الظواهر لولادة أحد أو وفاته تخصيص بلا مخصص

أظن في هذا القدر كفاية وأتحول إلى مناقشة ظاهرة علمية كانت مشاعة عند كثير من علماء الفلك المغاربة وبدأت على ما أعتقد مع رائد المدرسة الأندلسية أبي إسحاق ابراهيم بن يحيى التجيبي النقاش الطليطلي المعروف بابن الزرقالي (493هـ/1099م) فقد زعم في كتابه (***الكواكب الثابتة***) أن رأس الحمل عندما تواجد في دائرة معدل النهار حدث أن تطابقت تماما نقطتا رأس الحمل والاعتدال الربيعي وذلك قبل 40 سنة من الهجرة عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم ثم زعم أن مواضع كل من الشمس والقمر والكواكب كانت متوافقة بحسب نظام الممتحن وهو الزيج الذي وضع للخليفة العباسي المأمون كما كان موافقا أيضا للأرصاد الهندية والفارسية القديمة وابن الزرقالي فلكي أندلسي يصنف من بين أعظم راصدي الفلك في عصره ووحيد زمانه في علم العدد ولد بطليطلة وتوفي بإشبيلية سنة 1087م ابتكر آلات فلكية جديدة وصفها في كتاب له يعرف باسم الصحفية الزرقالية فشرح فيها كيفية استعمال الأسطرلاب على منهاج جديد كما ألف رسالة في غاية الأهمية والتي تحتوي على المعلومات الضرورية لصنع واستعمال صحيفة الزرقالية التي قدمت خدمة جليلة لعلماء العرب والمسلمين في ميدان الرصد ولقد ترجمت هذه الصحيفة إلى عدة لغات كما وضع ابن الزرقاله جداول عن الكواكب وهي المعروفة بالزيج الطليطلي بناء على أرصاده التي قام بها في مدينة طليطلة من 1061إلى 1080م وصحَّح الزرقالي المعلومات الجغرافية لبطليموس والخوارزمي وكانت له مدرسة علمية بطليطلة وأظن أن ما من مسلم درس السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام إلا وسيرد هذا الزعم من ابن الزرقالة كون حدث الهجرة النبوية كان بعد 50 سنة من مولد نبينا صلى الله عليه وسلم لا 40 كما زعم في كتابه (***الكواكب الثابتة***) ولعل السبب في هذا الخطأ هو اعتماده على زيج هندي قديم حيث ذُكر أن طول الشمس كان مساويا لمدارها سنة 580 م ومعلوم أن فاتح المحرم من السنة التي هاجر فيها النبي صلى الله عليه وسلم كان موافقا لـ 15 يوليو سنة 622 م فإذا نقصنا منها 49 سنة وهي ما يعادل 50 سنة هجرية كان العدد مساويا لـ 573 وليس 580

---

[6] رواه مسلم

[7] يونس 5

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولقد وافق ابن الزرقالي على هذا الأمر تلميذه الشهير بابن الكمّاد (509هـ/1115م) وهو من أنبغ تلاميذه المباشرين ومن أعماله ***المقتبس*** و ***الكور على الدور*** حيث لم ينكر أن ولادة النبي صلى الله عليه وسلم كانت في السنة التي وافق فيها رأس الحمل مع نقطة الاعتدال الربيعي لكنه أعطى تاريخا يختلف شيئا ما وهو 24 يناير 581 م ووجد أيضا هذا الأمر في مجموعة من الأعمال الأندلسية والمغربية كالزيج ***الموافق*** لابن عزوز القسنطيني (750هـ/1350م) والذي وضعه لمدينة فاس حيث زعم أنه كان في 15 يناير 581م ووُجد هذا الأمر أيضا عند ابن إسحاق التونسي وابن البناء المراكشي وابن الرقام وغيرهم كثير لكن لا أحد رد هذه المسألة كون النبي صلى الله عليه وسلم لم يولد قبل الهجرة بـ 40 سنة كما هو معروف في كتب الحديث والسيرة

وعلى ما يبدو فقد تنبه لهذا الخطأ أحد تلاميذ ابن الزرقالي الغير مباشرين وهو أبو محمد عبد الحق الغافقي الإشبيلي المعروف بابن الهائم(601هـ/1205م) في زيجه المسمى (***الكامل في التعاليم***)[8] في المقالة الثانية في الباب الأول حيث قال: فليكن فلك البروج دائرة ألف راء طاء وفلك معدل النهار ألف حاء طاء ومركز العالم نقطة العين وليكن وضع الفلك كما كان قبل الهجرة نحوا من 50 سنة عربية وذلك عند مولد سيد الأمم وتحفة العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم فإن هذه الحركة إذ ذاك لم تكن محسوسة بل كانت نقطتا رأس الحمل والاعتدال واحدة وكان الفلك يومئذ على أعدل وضع وأحسنه

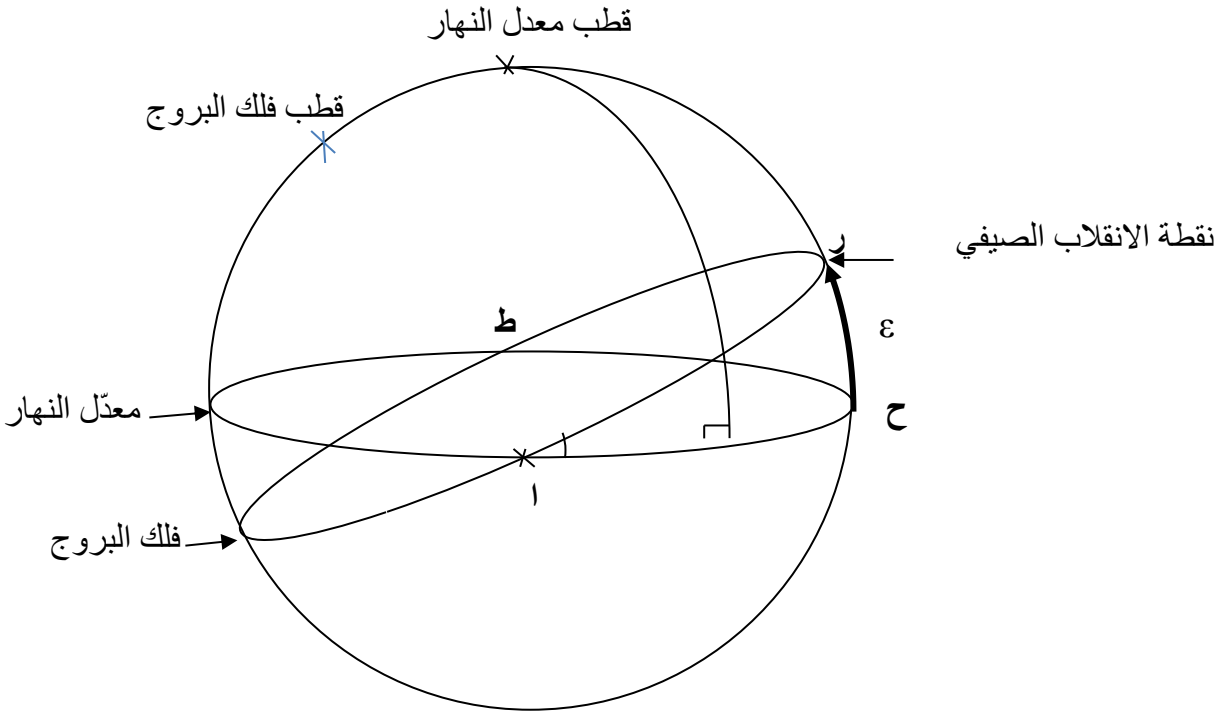

[8] الذي وضعه للخليفة عبد الله محمد الناصر الذي حكم ما بين 1195 و1213 للميلاد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ا نقطة الاعتدال الربيعي
ط نقطة الاعتدال الخريفي
ε الميل الكلي للشمس

يقول الإمام الجادري رحمه الله في أرجوزته المسماة بروضة الأزهار

اعلم بأنّ الميل بلا سجال البعد عن نقطة الاعتدال
وحده **كجـ** ونصف في الشمال كذاك رأس الجدي في الجنوب مال

فالميل قوس من دائرة عظيمة تمر بقطبي العالم فيما بين دائرة البروج ودائرة معدّل النهار وكل نقطة من دائرة البروج لها ميل عن دائرة معدّل النهار سوى نقطتي التقاطع اللتين هما رأس الحمل ورأس الميزان وأعظم الميول هو ميل نقطة الانقلاب الصيفي كما هو مبين في الشكل السابق وقد اختلف في تقديره فمذهب القدماء على أنه **24** درجة وزعم بطليموس في كتاب المجسطي[9] أنه وجده **[23؛51]** ورصده أيضا محمد بن جابر البتاني (317هـ/929م) صاحب ***الزيج الصابئ*** فوجده **[23؛35]** وزعم يحيى بن أبي منصور صاحب الممتحن الذي رصد للخليفة العباسي المأمون أنّه وجده **[23؛33]** وعلى هذا الميل ركب ابن البناء المراكشي (721هـ/1321م) بعض الأعمال في زيجه المسمّى ***منهاج الطالب في تعديل الكواكب*** وابن الرقام (715 هـ/1315 م) في زيجه ***المستوفى*** وابن قنفذ القسّنطيني (755هـ/1375م) في زيجه المسمّى ***بتسهيل العمل والعبارة*** وابن الشاطر (777هـ/1375م) وفي رسالة الربع المجيب تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي العباس أحمد الشهير بالمزّي (750هـ/ 1349م) أن الميل المحرر **[23؛31]** وزعم يحي بن أبي الشكر المغربي (680هـ/1281م) حقيقته بالرصد المتكرّر فوجده **[23؛30]** ومن الواضح من خلال هذه المعلومات أنّ قيمة الميل الكلّي منذ القدم تتّجه نحو الانخفاض والله تعالى أعلم بحقيقته لكن صاحبنا ابن الزرقالة يرى أنه هو متردد بين **[23؛51]** وبين **[23؛30]** وعرض تفسيرا للمسألة كما هو مبيّن في الشكل التالي

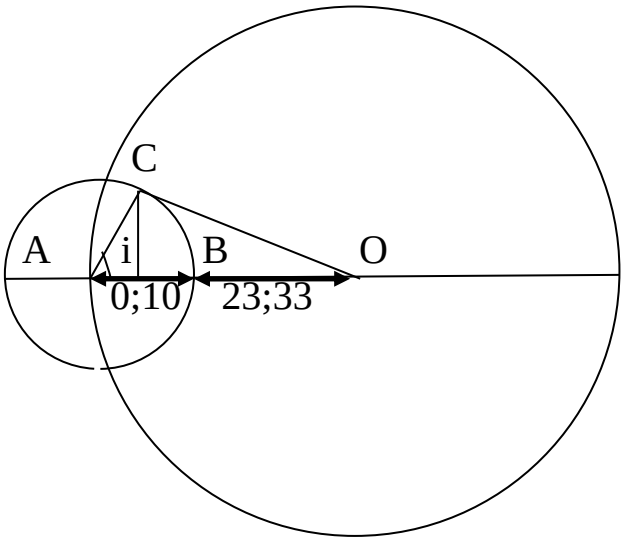

[9] Toomer, Almagest, p . 72 **ε = 23;51,20**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

O قطب معدّل النهار
C قطب فلك البروج وهو يتحرّك في دائرة شعاعها 0؛10°
في المثلث CBO لدينا العلاقة التالية

$$OC^2 = OB^2 + BC^2$$
$$OC = \sqrt{(OB^2 + BC^2)}$$

وفي المثلث CBA لدينا

$$BC = 0;10 \text{ sen } i$$
$$OB = 23;33 + (0;10 - 0;10 \cos i)$$
$$OB = 23;33 + (0;10 (1 - \cos i))$$

وبالتالي فإنّ

$$OC = \sqrt{((23;33 + (0;10 (1 - \cos i))^2 + (0;10 \text{ sen } i)^2)}$$

$OC = 23;33$ $i = 0°$
$OC = 23;53$ $i = 180°$

وبما أنّ دالة الجيب والجيب تمام متردّدتان بين حدّ أدنى وحدّ أقصى فإنّ الميل الكلّي كذلك ولمتابعة النقاش في هذه المسألة لابد لنا من معرفة الحركة التي يقوم بها رأس الحمل والتي تسمى عند علماء الفلك قديما بحركة الإقبال والإدبار
والإقبال هو إقبال رأس الحمل من منطقة البروج والإدبار هو إدبارها عن نقطة الاعتدال ولحساب هذه الحركة كانت المدرسة المغربية تعتمد على الطريقة التي استعملها ابن الزرقالي حيث يحسب أولا الميل الكلّي[10] .

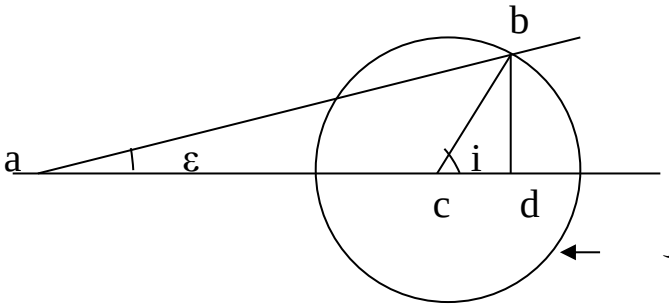

دائرة الإقبال والإدبار

في المثلث abd لدينا العلاقة التالية

$$\text{sen ab} / \text{sen } 90 = \text{sen bd} / \text{sen } \varepsilon$$
$$(1) \quad \text{sen ab} = \text{sen bd} / \text{sen } \varepsilon$$

وفي المثلث bcd لدينا العلاقة التالية

$$\text{sen bd} / \text{sen } i = \text{sen bc} / \text{sen } 90$$
$$\text{sen bd} = \text{sen } i \times \text{sen bc}$$

إذا عوّضنا هذه القيمة في العلاقة (1) أصبح لدينا

$$\text{sen ab} = (\text{sen } i \times \text{sen bc}) / \text{sen } \varepsilon$$

[10] محمد عبد الرحمن، "وجود جداول في زيج ابن الهائم " من بغداد إلى برشلونة، برشاونة 1966، ج 1، ص. 366 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلحساب مقادير الإقبال والإدبار لابد من معرفة الميل الكلّي وبما أن القوم اختلفوا في مقدار هذه الأخيرة فكذلك اختلفوا في مقدار حركة الإقبال والإدبار فابن إسحاق التونسي (614هـ /1218م) وضع زيجه على أنها **10؛24** وهي نفس القيمة التي وجدت في الزيج ***المستوفى*** لابن الرقام و***منهاج الطالب*** لابن البناء المراكشي و ***تسهيل العمل والعبارة*** المنسوب إلى ابن قنفذ القسنطيني (810 هـ/1407م) وهذه الأزياج الثلاث كان عليها أكثر العمل في بلاد المغرب وذكر الشيخ أبو عبد الله الحباك (920هـ/1513م) شارح روضة الأزهار للإمام الجادري أنّ مقدار حركة تقدّم الاعتداليين في زمانه كانت تساوي **13؛40** وحسب ما ذهب إليه ابن أبي الشكر في التاج فإنّ حركة الإقبال أو تقدم الاعتداليين تزيد بـ 50 ثانية في كل سنة فارسية وبين الروضة والهجرة 920 سنة هجرية إذا أضفنا إليها 50 سنة التي عاشها رسول الله صلى الله علسه وسلم قبل الهجرة يجتمع لنا 970 سنة هجرية

$$(970 \times 354\ ;22) / (365\ ;15) = 941$$

إذن فالحركة تكون قد زادت بـ :

$$(941 \times 50s) = 47050s$$

يعني أن : $47050s = 13 \times 3600s + 250s$

$$47050s = 13^{\circ} + 4_{m} + 10s = 13;\ 4,10$$

فإن كانت حركة الإقبال والإدبار سنة 920 هـ هي 13؛40 كما أخبر الحباك فهي قطعا تساوي

$13\ ;40 - 13\ ;\ 4\ ,10 = 0\ ;\ 5\ ,50$ عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذه الحال لا يمكننا الجزم بأن رأس الحمل كان موافقا لنقطة الاعتدال في هذه السنة

بقيت مسألة أخرى يمكن التأكد من صحة هذه النتيجة وهي أن ننظر في أحد الجداول الموضوعة لمعرفة مواضع الشمس لنحلل معطياتها وهل هي توافق هذه النتيجة أم لا ؟
للبداية لابد لنا من معرفة أمر وهو أن العلماء وضعوا أحرفا لكل شهر يقول الإمام الجادري في أرجوزته

اعـــــلم بـــأن الجدي للينير وهكـــذا بـــرج لكـــــل شـــهر
وللشـــهور أحرف وهـي **زحو** ثـــم **زوو** ثـــم **هھد** ثـــم **دهو**

وهي تعني

الحمل	الثور	الجوزاء	السرطان	الأسد	السنبلة	الميزان	العقرب	القوس	الجدي	الدلو	الحوت
أبريل	ماي	يونيو	يوليوز	غشت	شتنبر	أكتوبر	نونبر	دجنبر	يناير	فبراير	مارس
ز	**و**	**و**	**هـ**	**هـ**	**د**	**د**	**هـ**	**و**	**ز**	**جـ**	**و**
7	**6**	**6**	**5**	**5**	**4**	**4**	**5**	**6**	**7**	**3**	**6**

ولما كان عملي في اطروحة الدكتوراه على شرح أبي عبد الله الحباك لأرجوزة الإمام الجادري فإني ارتأيت أن آخذ مواضع الشمس في بدايات الشهور في زمن الحبّاك (920هـ/1513م) وحركة تقدّم الاعتداليين كانت تساوي 13؛40

أبريل	الحمل	$21;40 = 13;40 + \mathbf{7} + 1$

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ماي	الثور	50;40 = 30 + 13;40 + **6** + 1
يونيو	الجوزاء	80;40 = 60 + 13;40 + **6** + 1
يوليوز	السرطان	109;40 = 90 + 13;40 + **5** + 1
غشت	الأسد	139;40 = 120 + 13;40 + **5** + 1
شتنبر	السنبلة	168;40 = 150 + 13;40 + **4** + 1
أكتوبر	الميزان	198;40 = 180 + 13;40 + **4** + 1
نونبر	العقرب	229;40 = 210 + 13;40 + **5** + 1
دجنبر	القوس	260;40 = 240 + 13;40 + **6** + 1
يناير	الجدي	291;40 = 270 + 13;40 + **7** + 1
فبراير	الدلو	322;40 = 300 + 13;40 + **3** + 1
مارس	الحوت	350;40 = 330 + 13;40 + **6** + 1

والملاحظ من هذه النتيجة أن أوائل الشهور متطابق تماما مع أوائل البروج وهذه الظاهرة لا تكرر كل سنة وعلى هذا فوصف ابن الهائم للسنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم بأن نقطتي رأس الحمل والاعتدال كانتا واحدة وكان الفلك يومئذ على أعدل وضع وأحسنه ليس صحيحا بل كان الأمر كما وصف في سنة الهجرة وعلى أية حال فيكفينا في هذا الباب قول نبينا صلى الله عليه وسلم : (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته)[11] الحديث فكونه صلى الله عليه وسلم ولد في هذه السنة التي توافقت فيها حركة رأس الحمل في دائرة الإقبال والإدبار مع حركة الشمس في فلك البروج في نقطة الاعتدال أم في سنة أخرى لا يرفع من قيمته التي أعطاه الله إياها وكفى بها منزلة إذ قال تعالى : **ورفعنا لك ذكرك** فمولده صلى الله عليه وسلم حدث كباقي أحداث السيرة النبوية ينبغي أن نكتفي بما صح فيه من الأخبار ولا حاجة لنا للتكلف وسرد الغرائب والعجائب عن مولده صلى الله عيه وسلم هذا وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

[11] متفق عليه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

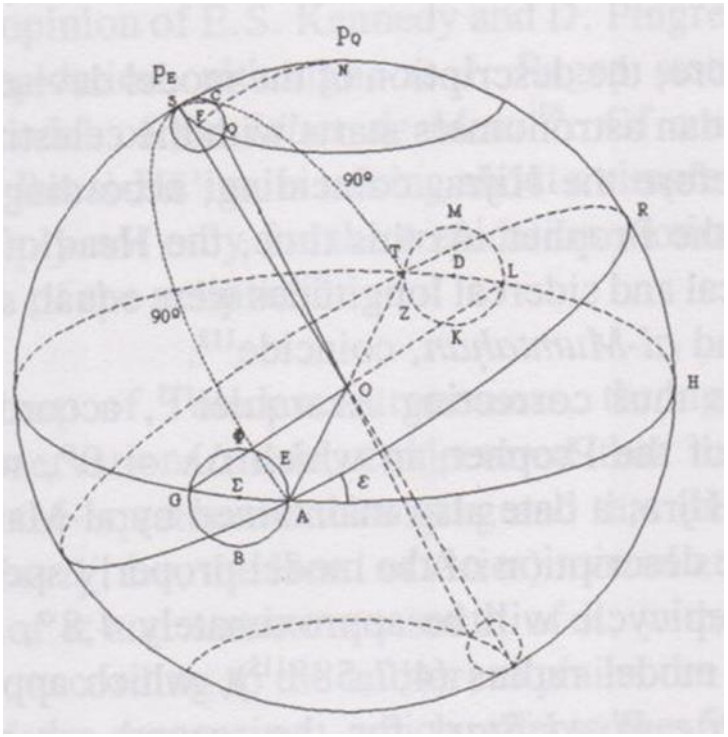

ART	فلك البروج
P_E	قطب فلك البروج
AHT	معدل النهار
P_Q	قطب معدل النهار
O	مركز الكون
A	نقطة برج رأس الحمل وهي توافق الاعتدال الربيعي
ABGE	فلك التدوير رأس الحمل
T	نقطة برج الميزان وهي توافق الاعتدال الخريفي
TKLM	فلك تدوير الميزان
R	نقطة الانقلاب الصيفي
HR	الميل الكلي للشمس في هذه الوضعية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

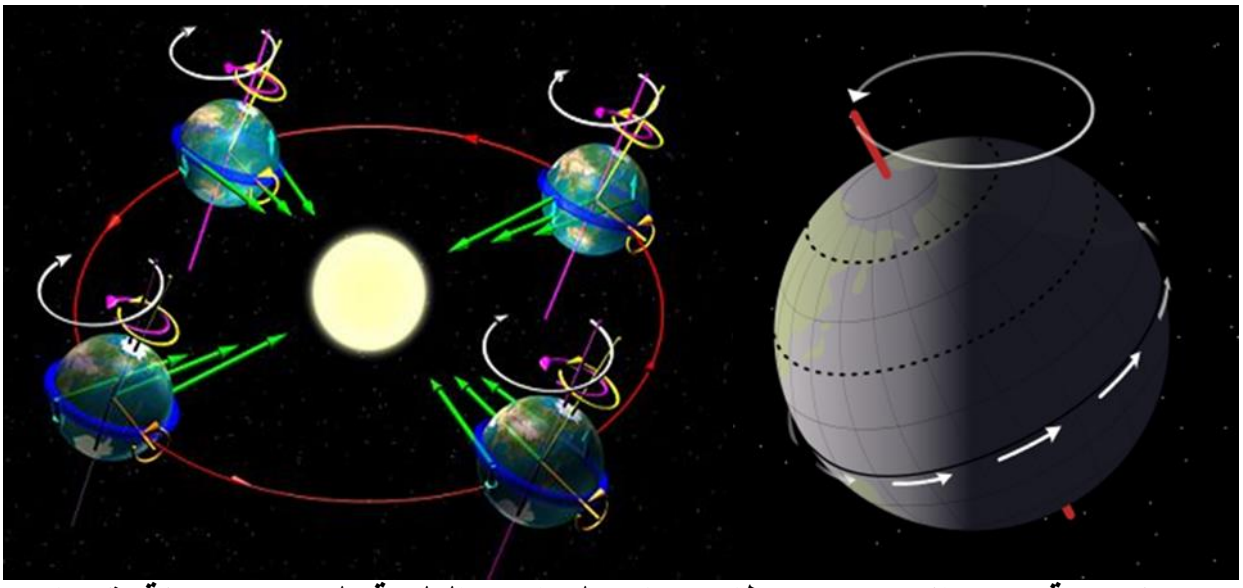

تحدث حركة محور الارض مخروطا وهميا تكمل دائرته العلوية كل 26000 سنة تقريبا